IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
JHCS
Journal Homepage: http://jhcs.tu.edu.iq
Journal of historical and cultural studies
ISSN:2073-1116(Print) – E- ISSN: 2663-8819(Online)

Iran and Tunisia: A Study of Political Relations of the Two Countries 1989-2011

[1] Dr. Mohammad Abdul – AL-Rahman Younis Al – Obaidy, Department of Historical and Cultural Studies, Regional Studies Center, Mosul University.

KEY WORDS:

- Iran
- Tunisia
- Iranian-Tunisian Relations
- Arab-Iranian Relations

ARTICLE HISTORY:

Received:

Accepted:

Available online:

ABSTRACT

The research is interested in studying Iran - Tunisia relations on the political side during the period 1989-2011. The relations during the period under discussion were distinguished by stability and development compared to the period that preceded them and that subsequent one. Perhaps the seeking for the stability of relations between the two sides was desirable for both countries, and therefore this was reflected in the reality of political relations between them and extended to include various aspects of other relations.

The research attempted to consider the topic in all its aspects beginning by studying the emergence of relationships relations in 1956 until the Tunisian Revolution in 2011, by examining the course of relations during the era of AL-Habib Bourguiba and the Shah of Iran, Mohammad Reza Pahlavi, which was characterized by improvement and cooperation; then the repercussions of the Iranian revolution in 1979 on the relations between the two countries that reached the stage of tension and interruption in 1987, and then resumed in 1990 after Zine El Abidine Ben Ali took the presidency of Tunisia in 1989, and the developments that occurred after that until 2011.

Iran's official position and policy to the Tunisian changes towards the revolution, the resulting events, and changes in the regime of Ben Ali, in addition to the differing positions of each of them with regard to the affairs of the Arab countries, especially in Yemen, Syria, and the Arab Gulf states that Tunisia announced its side with against Iranian interference. Then Al-Baji Qaʾid as-Sibsi, assumed the presidency of Tunisia, who knew that he was one of the members of the old regime during the era of President AL-Habib Bourguiba, as he embraced his ideas and directions, all of which contributed to raising the concern and suspicion of the Tunisian government in its dealings with Iran, that negatively affected relations between the two countries and made them in an unstable state, governed by uncertainty, mistrust, and disbelief, especially by the Tunisian government.

DOI:

Journal of historical and cultural studies (JHCS)
Journal of historical and cultural studies (JHCS)

Corresponding author: E-mail: dr.mohamad_alobaidy@uomosul.edu.iq

إيران وتونس: دراسة في علاقات البلدين السياسية ١٩٨٩-٢٠١١

ا. م. د. محمد عبدالرحمن يونس العبيدي
قسم الدراسات التاريخية والثقافية/ مركز الدراسات الاقليمية/ جامعة الموصل

الخلاصة:

يهتم البحث بدراسة العلاقات بين إيران وتونس في الجانب السياسي إبان المدة بين ١٩٨٩-٢٠١١، حيث تميزت العلاقات خلال المدة موضوع البحث باستقرارها وتطورها مقارنة بالمدة التي سبقتها وحتى اللاحقة لها، ولعل البحث عن استقرار العلاقات بين الجانبين كان هدف كلتا الدولتين، وبالتالي انعكس ذلك على واقع العلاقات السياسية بين البلدين.

حاول البحث الإحاطة بالموضوع عن طريق تناول العلاقات منذ نشأتها عام ١٩٥٦ وحتى قيام الثورة التونسية عام ٢٠١١، بالتطرق إلى مسار العلاقات في عهد الحبيب بورقيبة وشاه إيران محمد رضا بهلوي التي اتسمت بالتحسن والتعاون ، ومن ثم تداعيات قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ على العلاقات بين البلدين التي وصلت مرحلة التوتر والانقطاع عام ١٩٨٧، ثم استئنافها عام ١٩٩٠ عقب تولي زين العابدين بن علي رئاسة تونس ١٩٨٩، والتطورات التي شهدتها بعد ذلك لغاية ٢٠١١.

كان لموقف إيران الرسمي وسياستها إزاء المتغيرات التونسية من الثورة وما ترتب عليها من مجريات الأحداث وتغيير نظام بن علي، فضلا عن تباين مواقف كل منهما فيما يخص شؤون الدول العربية لاسيما في اليمن وسوريا ودول الخليج العربية التي أعلنت تونس وقوفها إلى جانبها ضد التدخلات الإيرانية، ومن ثم تولي الباجي قائد السبسي رئاسة تونس والذي عرف بانه كان احد أفراد النظام القديم في عهد الرئيس الحبيب بورقيبة وحمل أفكاره وتوجهاته ، كلها أسباب أسهمت في أثارة عامل القلق والشك لدى الحكومة التونسية في تعاملها مع إيران، الأمر الذي انعكس سلبا على العلاقات بين البلدين وجعلها في حالة غير مستقرة يحكمها التوجس والريبة وعدم الثقة لا سيما من جانب الحكومة التونسية.

الكلمات المفتاحية:

- إيران
- تونس
- العلاقات الإيرانية
- التونسية
- العلاقات العربية
- الإيرانية

معلومات البحث:

تواريخ البحث:

- ***الاستلام:***
- ***القبول:***
- ***النشر المباشر:***

مجلة الدراسات التاريخية والحضارية مجلة الدراسات التاريخية

المقدمة

تعد العلاقات الإيرانية – التونسية جزء من منظومة العلاقات العربية – الإيرانية، وهذه العلاقات حالها كحال بقية علاقات الدول العربية مع إيران، حيث شهدت محطات ومراحل مختلفة من الاستقرار والتوتر والانقطاع لأسباب متعددة كان من ابرزها واهمها محاولات التدخل الإيراني المستمر في شؤون الدول العربية الداخلية والتي بلا شك انعكست سلبا على العلاقات بين الجانبين، والعلاقات بين تونس وإيران مرت أيضاً بتلك المحطات منذ نشأتها وخلال مسيرتها حتى الوقت الحاضر.

العلاقات بين تونس وإيران إبان عهد الرئيس زين العابدين بن علي ١٩٨٩-٢٠١١ وهي موضوع البحث، يمكن وصفها بانها كانت اكثر استقرارا وتماسكا مقارنة بالمدة السابقة للبحث أو حتى ما بعدها، او اذا ما قارناها أيضاً بعلاقات العديد من الدول العربية مع إيران.

تكمن أهمية البحث في كونه يحاول أن يقتحم ميدان العلاقات الإيرانية – الافروعربية ويقدم صورة وفكرة واضحة عن طبيعة العلاقات التونسية – الإيرانية إبان المدة موضوع البحث، ويسهم في رفد وتعزيز مكتبة الدراسات التي تتناول العلاقات العربية – الإيرانية، ولاسيما ما يتعلق منها بالعلاقات بين تونس وإيران والتي تكاد تفتقر إلى هذا النوع من البحوث والدراسات، من هذا المنطلق يأتي البحث استكمالا للجهود في مجال الدراسات والبحوث التي تهتم بالعلاقات الإيرانية – الافروعربية وتحديدا الإيرانية– التونسية منها.

يهدف البحث كذلك إلى تتبع مسار العلاقات بين تونس وإيران ودراسة طبيعة هذه العلاقات إبان المدة ١٩٨٩–٢٠١١، بعد استئنافها في عهد زين العابدين بن علي، ومعرفة وبيان الأسباب التي ساهمت في استقرارها وتماسكها بالرغم من اختلاف ايديولوجية وتوجهات النظامين الحاكمين في كلتا الدولتين.

قسم البحث إلى تمهيد وخمسة محاور فضلا عن الخاتمة، تناول التمهيد نشأة وتطور العلاقات التونسية – الإيرانية منذ عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٧٩، حيث ركز على واقع العلاقات إبان عهد الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة والشاه محمد رضا بهلوي إلى قيام الثورة الإيرانية ، وكرس المحور الأول لموضوع العلاقات بعد الثورة الإيرانية وابرز الأحداث التي شهدتها والمتغيرات التي انعكست عليها وساهمت في توترها ومن ثم قطعها عام ١٩٨٧، بينما عالج المحور الثاني استئناف العلاقات وعودتها عام ١٩٩٠ والعوامل التي ساهمت في ذلك، ومسار العلاقات حتى عام ١٩٩٧، وخصص المحور الثالث لدراسة واقع العلاقات التونسية – الإيرانية وتطورها خلال المدة من ١٩٩٧ حتى قيام الثورة التونسية عام ٢٠١١، وكرس المحور الرابع على موقف إيران من الثورة التونسية وتغيير نظام بن علي من خلال مواقف وتصريحات المسؤولين الإيرانيين فضلا عن موقف الصحافة الإيرانية ، وتم اختتام البحث بالمحور الخامس والاخير والذي تضمن علاقات البلدين بعد الثورة ومدى انعكاس التغيير الذي حصل في تونس على علاقات البلدين بعد الاستقرار الذي شهدته في عهد بن علي.

تمهيد: **نشأة وتطور العلاقات الإيرانية – التونسية حتى عام ١٩٧٩**

تعود بداية العلاقات بين إيران وتونس إلى عام ١٩٥٦،عندما ارسلت طهران ممثل لها إلى تونس لاجراء مباحثات مع المسؤولين التونسيين بهدف إقامة العلاقات بين الدولتين، وبعدها وفي السادس من شهر تشرين الثاني من عام ١٩٥٧ افتتحت إيران لاول مرة سفارتها في تونس، بالمقابل فتحت تونس مكتبا لها في إيران واقتصر تمثيلها الدبلوماسي بمستوى ممثلية وكان سفيرها لدى طهران مقيم في انقرة .

في عام ١٩٦٤قام الحبيب بورقيبة الرئيس التونسي (١٩٥٧–١٩٨٧) بزيارة إيران ، التقى فيها بشاه إيران محمد رضا بهلوي(١٩٤١–١٠٧٩) ،وبحث الجانبان العلاقات الثنائية وسبل الارتقاء بها، وتم التوقيع على بيان مشترك اكد على رغبة الجانبين في تطوير علاقاتهما ، فضلا عن التوقيع على اتفاق تجاري.

رد الشاه زيارة بورقيبة إلى تونس في شهر نيسان عام ١٩٦٩،وتطورت علاقات البلدين بعدها لتشمل الجانب الثقافي، حيث زار وزير الثقافة والفنون الإيراني تونس عام ١٩٧١ ، وجرى لقاء بين وزيري البلدين حول

التعاون الثقافي والفني، وتبادل الجانبان الأفكار والآراء ، تم بعدها التوقيع على اتفاقية للتعاون الثقافي وتبادل الطلاب بين البلدين، واستمر العمل بهذه الاتفاقية إلى عام ١٩٧٩. في عام ١٩٧٢ فتحت تونس سفارتها في العاصمة الإيرانية طهران، وكانت العلاقات بينهما على افضل ما يكون حتى قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩.

اما على مستوى علاقات البلدين الاقتصادية فلم تكن بين البلدين علاقات اقتصادية تذكر حتى عام ١٩٥٧ لعدم وجود علاقات سياسية بينهما، فضلا عن بعد المسافة بين البلدين، لكن بعد إقامة العلاقات السياسية وافقت إيران على شراء كميات من الفوسفات التونسي والأسمدة الكيماوية، حتى بلغت ١٥٠ الف طن في السنوات الأخيرة قبل قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ ، وردت الحكومة التونسية على شراء الفاكهة المجففة الإيرانية، واستمر الحال هذا إلى ان الغت تونس استيرادها من إيران بعد الثورة الإيرانية، واقتصرت العلاقات الاقتصادية بين البلدين على شراء إيران للفوسفات التونسي من جانب واحد[١] .

من العوامل التي اسهمت بشكل مباشر في توثيق علاقات البلدين قبل الثورة الإيرانية، هي طبيعة النظام السياسي في كلا البلدين كونهما من النظام العلمانية والمدنية، فضلا عن التقاء توجهات البلدين ازاء المحور الغربي وتقارب مواقفهما تجاه العديد من القضايا الاقليمية والدولية، فكان الشاه محمد رضا بهلوي والحبيب بورقيبة من المؤيدين والداعمين للتوجهات والسياسات الغربية في المنطقة ومن المتاثرين بالنظام الغربي والحداثة التي اتسم بها، الأمر الذي انعكس ايجابا على علاقات الدولتين.

اولا: العلاقات إبان المدة ١٩٧٩-١٩٨٧

بعد قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ تغير حال العلاقات بين البلدين على عكس ما كانت عليه قبل عام ١٩٧٩، نتيجة العديد من الأسباب، في مقدمتها تباين واختلاف توجهات النظامين السياسيين، فالثورة الإيرانية اتت بنظام عقائدي ذو توجهات إسلامية بخلاف توجهات نظام بورقيبة العلماني، الأمر الذي انعكس على سياسة إيران الخارجية وادى هذا بدوره إلى تباين واختلاف مواقفها تجاه العديد من القضايا الاقليمية والدولية والعلاقات بالدول الغربية وفي مقدمتها العلاقة مع الولايات المتحدة وبشكل يختلف جذريا عما يتبناه نظام بورقيبة. مع مرور الوقت اخذت العلاقات تتراجع تدريجيا وبمنحا سلبيا[٢]. فضلا عن ذلك كان للتاييد المتبادل والعلاقة بين التيار الإسلامي في تونس بزعامة راشد الغنوشي والثورة الإيرانية الاثر البالغ في توجهات تونس نحو خفض علاقاتها مع إيران بعد ان شابها التوتر، خاصة اذا ما علمنا ان الغنوشي ايد الثورة الإيرانية ورحب بها حتى اطلق على اعضاء الحركة في تونس بالإيرانيين، اذ لم يكن الحبيب بورقيبة من المرحبين او المؤيدين للثورة الإيرانية بل العكس من ذلك، نظرا لعلاقاته الوطيدة مع نظام الشاه وبحكم عداءه أيضاً للتيار الإسلامي الذي ساند وايد الثورة الإيرانية واتهامه بعد ذلك بدعم الحركة الإسلامية في تونس[٣].

لقد كانت العلاقات بين الحركة الإسلامية التونسية بقيادة الغنوشي وإيران عاملا اساسيا في تدهور وقطع العلاقات الإيرانية – التونسية عام ١٩٨٧، فقد كان الغنوشي احد اعضاء وفد الاخوان المسلمون الذي التقى بالامام الخميني في فرنسا، اذ اعرب الوفد عن دعمه وتاييده للحركة الإسلامية في إيران، فضلا عن الزيارة

التي قام بها الغنوشي إلى إيران بعد قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، والتقائه بالخميني لتقديم التهنئة بمناسبة نجاح الثورة[٤].

كان الغنوشي من اشد المهتمين والمتحمسين للثورة الإسلامية الإيرانية، وعد إيران بعد قيام الثورة وتأسيس النظام الإسلامي فيها بانها أصبحت جديرة لحمل راية الإسلام[٥]. وجاء هذا التوجه ضمن اطار ابتهاج جماعة الاخوان المسلمون بانتصار الثورة الإسلامية الإيرانية حتى ان احد المصادر أشار إلى" ان الاخوان المسلمون ومنذ تأسيسهم لم يكن لهم ردة فعل تجاه وصول اي من الإسلاميين للحكم كما كانت ردة فعلهم تجاه الثورة الإيرانية "، ويشير عبدالله النفيسي إلى انه" فور حدوث الثورة الإيرانية بادرت امانة سر التنظيم الدولي للاخوان المسلمين بالاتصال بالمسؤولين الإيرانيين بغية تشكيل وفد من الاخوان لزيارة إيران والتهنئة بالثورة وتدارس سبل التعاون"[٦].

كان التاييد الواسع من لدن انصار الحركة الإسلامية في تونس للثورة الإيرانية والمقالات التي نشرتها في مجلة المعرفة التابعة لها دفعت الحبيب بورقيبة إلى اعتقال قيادات الحركة ومحاكمتهم واغلاق مجلتهم، فقد نشر الغنوشي العديد من مقالاته في مجلة المعرفة، تناول فيها أهمية الثورة الإيرانية الإسلامية ودورها في احياء الوعي الإسلامي والصحوة الإسلامية ومما كتبه في هذا الجانب بعنوان الثورة الإيرانية ثورة إسلامية: " ان الحركة الإسلامية في إيران، وان كانت قاعدتها شيعية، فانها تصب في التيار العالمي للبعث الإسلامي، مستهدفة ايقاظ الأمة الإسلامية بكاملها ووضعها في القيادة الحضارية للعالم ... وحين تنتصر الحركة الإسلامية في إيران فانها تسجل بادرة عظيمة من الصراع المحتدم اليوم في العالم بين قوى الطاغوت وقوى التحرر، وبين الأنظمة الجبارة وبين الشعوب المحرومة المستضعفة، ولذلك فسوف تكون انموذجا يهتدي به كل الأحرار في العالمين الإسلامي والنامي، وتصبح إيران قلعة للحرية ومركز الإشعاع الرسالي في العالم، ان ثورة إيران هي ثورة الإسلام ضد الاستبداد والقهر والتبعية والاستغلال أنها ثورة المستضعفين ضد الطغيان السياسي والاستغلال الاقتصادي"[٧]. ويشير الغنوشي إلى علاقة الجماعة الإسلامية في تونس بالحركة الإسلامية الإيرانية بقوله: " ان حركتنا قد تفاعلت واكثر الحركات الإسلامية قد تفاعلت مع شعار الثورة من وقت خلقه، تشرفت بلقاء الإمام في باريس قبل انتصار الثورة ورجعنا إلى تونس ممتلئين بفيض من مشاعر الثورة ومشاعر التغيير، والحقيقة أننا تفاعلنا مع اقتحامنا مع شعارات ومبادئ وقضايا الثورة الإسلامية في إيران مثّل محطة ونقطة تحول كبير في حياة حركتنا وأعطاها قوة دفع اقوى واقتدارا اكثر على فهم المجتمع وعلى الصراع ضد الدكتاتورية السياسية انتصارا لقضية الحرية والعدل الاجتماعي ضد الاستغلال الاقتصادي والنظر إلى العالم كانه صراع بين قوى الهيمنة وقوى ضعيفة .... ورغم كل ما حصل لنا في الطريق من متاعب ولقد حوكمنا عشر سنوات في الثمانينات وكنا نحن في تونس ندفع ضريبة دعمنا للثورة الإسلامية في إيران منذ ١٩٨١ الاف الشباب في السجون واخرين استشهدوا وكان من التهم الرئيسية هي علاقتنا الروحية والفكرية مع الثورة الإسلامية في إيران"[٨].

لقد ادرك الحبيب بورقيبة حقيقة العلاقة بين الحركة الإسلامية في تونس والثورة الإيرانية ومدى ما تشكله من خطر بالنسبة لنظامه السياسي ، ولعل ما كتبه ونشره الغنوشي في الثورة الإيرانية إبان الثمانينيات وافصح عما واجهه بعدها من قيود وضغوطات من قبل الحبيب بورقيبة يفسر لنا سبب ملاحقة الاخير لاتباع الحركة الإسلامية وكان سببا مباشرا في توتر علاقات تونس بإيران بعد قيام الثورة الإيرانية وارساء النظام الجمهوري الإسلامي فيها.

لقد قاد قلق وتوجس تونس من التحركات الإيرانية وسياستها تجاه الحركة الإسلامية فيها إلى غلق السفارة الإيرانية في طهران عام ١٩٨٢ معللة ذلك بعدم توفر الامكانات المالية اللازمة لفتحها، لكن واقع الحال كان يشير إلى رغبة تونس بخفض مستوى علاقاتها مع طهران، إلا أن الاخيرة استمرت سفارتها بالعمل لوحدها وبشكل منفرد الأمر الذي جعلها تقع تحت ضغط قيود السلطات وانتقادات الصحافة التونسية والتوجه العام في البلاد ضدها، وهو ما قاد إيران بعد ذلك إلى تخفيض تمثيلها الدبلوماسي إلى مستوى القائم بالأعمال، وكان للدعم المباشر والتاييد الذي قدمته تونس للعراق في حربه ضد إيران وطوال سنوات الحرب عاملا اضافيا اسهم في تباعد البلدين، وجاء تغيير الحكومة التونسية عام ١٩٨٦ وتعيين الهادي المبروك على راس وزارة الشؤون الخارجية التونسية الاثر الواضح في تدهور العلاقات بإيران[٩].

ومما اسهم بشكل مباشر في توتر علاقات البلدين ومن ثم قطعها من قبل الجانب التونسي هو احباط السلطات التونسية في ١٩٨٧/٣/٢٧محاولة لتغيير نظام الحكم في تونس وإقامة نظام إسلامي على شاكلة النظام الساسي الإسلامي في إيران، حيث كشفت تونس حينها عن الجماعة التي تقف وراء تلك المحاولة، واتهمت تونس إيران بالوقوف خلفها اثر قيام السفارة الإيرانية بتوزيع اشرطة فيديو تبين مراحل قيام الثورة الإيرانية، والكشف عن قيام السفارة الإيرانية بارسال طلاب تونسيين إلى عدد من الجامعات في إيران، فضلا عن الاتهام الذي وجهته تونس إلى إيران بالوقوف خلف الاضطرابات العمالية في البلاد عام ١٩٨٧ بالرغم من نفي إيران التدخل في شؤون تونس الداخلية ، الأمر الذي قاد العلاقات إلى مرحلة حرجة، طالبت اثرها تونس الموظفين والعاملين في السفارة الإيرانية بغلقها ومغادرة الأراضي التونسية، ومن ثم قطع علاقاتها مع إيران بشكل كامل في ١٩٨٧/٧/١[١٠].

ثانيا: استئناف العلاقات بين البلدين عام ١٩٩٠

بدا التمهيد لعودة العلاقات بين البلدين بعد الانقلاب الذي اطاح بالرئيس الحبيب بورقيبة عام ١٩٨٩ وتولي زين العابدين بن علي(١٩٨٩-٢٠١١) رئاسة تونس، اذ عرف عن الاخير تبنيه لسياسة الاعتدال والابتعاد عن كل القضايا والصراعات التي تنعكس سلبا على استقرار وتنمية بلاده، وكل ما من شانه اثارة التوتر في المنطقة ومحيطه الاقليمي ويؤثر سلبا على علاقات تونس الخارجية.

من هذا المنطلق سعى بن علي من اجل بناء علاقات دولية مستقرة بعيدة عن التوترات والتاثيرات الاقليمية والدولية، وهو ما توافق مع توجهات الرئاسة الإيرانية الجديدة بقيادة علي اكبر هاشمي

رافسنجاني(١٩٨٩-١٩٩٧) الذي تولى رئاسة إيران عام ١٩٨٩، واعتمد سياسة اكثر انفتاحا عن المرحلة السابقة، وتوجه نحو تطوير علاقات إيران الاقليمية والدولية، ومحاولة اعادة بناء السياسة الخارجية الإيرانية، وبناء الاقتصاد الإيراني الذي انهكته الحرب مع العراق، وفقا لذلك كانت العلاقات بين تونس وطهران اكثر ثباتا واستقرارا حتى سقوط نظام بن علي[١١].

استؤنفت العلاقات بين البلدين عام ١٩٩٠ باصدار بيان مشترك تضمن استئناف العلاقات بينهما على مستوى قائم بالأعمال، ثم افتتحت كلتا الدولتين سفارتها عام ١٩٩١،وبدات تدريجيا ومع مرور الوقت خطوات تطوير العلاقات السياسية وتعزيزها باعتماد التعاون في مجالات السياسية والاقتصادية والثقافية. وبدات العلاقات تنشط بعد عام ١٩٩٣، وتولت سفارتي البلدين عملية الدفع باتجاه تفعيل التعاون المشترك وبما اسهم في تطوير وتعزيز علاقات البلدين الثنائية[١٢] .

وكان تطور علاقات البلدين في حقبة التسعينيات من القرن العشرين حافزا للحكومة الإيرانية لتجميد علاقاتها مع حركة النهضة الإسلامية، لذلك اعتذرت عن استقبال راشد الغنوشي رئيس الحركة كونه يؤثر سبلا على علاقاتها مع تونس[١٣].

في تشرين الأول / اكتوبر ١٩٩٤ ،ومن اجل دعم وتعزيز علاقات البلدين سياسيا والانفتاح تجاه تونس، اتجهت إيران نحو الجانب الاقتصادي، فبدات اول نشاطها الاقتصادي بالمشاركة في معرض دولي للبضائع والسلع الإيرانية والذي اقيم في تونس وشاركت فيه ١٢ شركة إيرانية من القطاع الخاص، وشهد المعرض اهتمام الشعب التونسي وتوجهه نحو شراء السلع والبضائع الإيرانية المعروضة وعكس رغبة المستهلكين التونسيين في شراء السلع الإيرانية وشجع التجار التونسيين على التواصل والتعامل التجاري مع التجار الإيرانيين، حيث تم ابرام العديد من الصفقات التجارية بين البلدين، ورغم محدودية حجم هذا التعاون لكنه فتح المجال لتوسيع التجارة بين البلدين.

وعاد التبادل التجاري المحدود بين البلدين إلى وضعه الاعتيادي عقب استئناف العلاقات بين الدولتين عام ١٩٩٠، وكانت تونس قد وافقت على شراء السلع الاساسية التي تحتاجها من إيران مقابل تصدير الفوسفات بموجب اتفاق تم التوقيع عليه ، لكن وبسبب احجام وتردد السلطات التونسية لم يتم تنفيذ الاتفاق، وبعد قطع تونس علاقتها مع إيران عام ١٩٨٧ ، قررت حكومة الإيرانية اعادة النظر في سياستها في شراء الفوسفات الاحادي الجانب من تونس، لكن الجانبان عادا إلى العمل بموجب اتفاق التبادل التجاري بينهما رغم محدوديته بين البلدين [١٤].

اضافة عما سبق، اتفق الجانبان على تشكيل لجنة مشتركة بصفة دائمية تعقد كل ستة اشهر في كلا البلدين، يتراسها عن الجانب الإيراني نائب الرئيس وعن الجانب التونسي رئيس الحكومة، وبمشاركة مجموعة من رجال الأعمال من الدولتين ، وتكون مهمتها وضع الخطط اللازمة للتعاون ومتابعة تنفيذ المشاريع والاتفاقات الموقعة بينهما، ووفقا لذلك وقع الجانبان العديد من اتفاقيات التعاون في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية

والثقافية، ترتب عليها قيام العديد من مسؤولي البلدين بزيارات متبادلة، فضلا عن ذلك كانت هناك زيارات لعدد من المثقفين ورجال الدين الإيرانيين إلى تونس. [١٥].

ثالثا: العلاقات إبان المدة ١٩٩٧-٢٠١١

اعتمدت تونس سياسة خارجية اكثر استقلالية إبان سنوات حكم بن علي، وحافظت على ثابت علاقاتها مع طهران منذ استئنافها عام ١٩٩٠، وفي السنوات الاخيرة من حكم بن علي اصبحت اكثر قربًا، بشكل اثار قلق كل من المملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة اللتان كانتا ترتبطان بعلاقات وثيقة مع الرئيس بن علي، وفي اطار مساعي تونس لترسيخ وتوثيق علاقاتها عربيا واقليميا وإقامة التوازن في علاقاتها الخارجية ،سعت إيران إلى محاولة استثمار التوجه التونسي هذا من خلال كسب شركاء اضافيين لتعويض خسارتها الناتجة عن العقوبات ومنهم تونس، فكانت استراتيجية إيران في افريقيا تحاول ايجاد موطئ قدم لها والسيطرة على الممرات المائية الاستراتيجية على طول السواحل الافريقية في محاولة لاثارة مشاكل للغرب من خلال القضاء على الحلفاء الغربيين التقليديين.

لقد كانت افريقيا أيضاً مكانًا مهما لإيران لشراء وبيع الاسلحة وبما يمكنها من استخدامها في تعزيز طموحاتها النووية وبشكل لا يقل أهمية عن متابعة اجندتها الجيوسياسية، ان إيران تنظر إلى افريقيا على انها جبهة مرغوبة ضد معارضيها من الدول ومنها السعودية والتسبب في المزيد من الصعوبات لمنافسيها الاقليميين[١٦].

لقد سعت كلتا الدولتين إلى تعزيز علاقاتهما في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية من خلال تشكيل اللجان المشتركة والزيارات الرسمية المتبادلة، ففي عام ١٩٩٨ زار شاذلي نفاني وزير الشؤون الاجتماعية التونسي طهران حيث التقى حسين كمالي وزير العمل الإيراني وبحث الجانبان التعاون الثنائي في التعليم التقني والمهني ودورات التاهيل للعمال. وفي كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠ التقى عطاالله مهاجراني وزير الثقافة الإيراني بنظيره التونسي عبد الباقي الهرماسي في تونس، حيث ووقعا على برنامجًا للتبادل الثقافي والعلمي لمدة ثلاث سنوات، تضمن التعليم الابتدائي والعالي والصحة والسياحة والرياضة والشؤون الإسلامية، فضلا عن ذلك وقع شعبان علي نظمي نائب وزير الزراعة الإيراني ومحمد حبيب حداد وزير الزراعة والموارد المائية التونسي في العام ذاته مذكرة تفاهم وتعاون في قطاع حقول وتربية الاسماك وتوسع التعاون ليشمل تبادل الخبراء والبرامج العلمية والبحثية في هذا المجال.

وفي عام ٢٠٠٤ تم توقيع العديد من مذكرات التفاهم حول التعاون الاقتصادي وعلاقات الطاقة والتجارة من خلال اجتماع اللجنة الاقتصادية المشتركة، وفي العام ذاته وقع البلدان اتفاقية لبناء مركز تجاري إيراني في تونس. وصرح سيد باقر سخاي السفير الإيراني في تونس ان إيران تعد تونس بوابة لسوق شمال افريقيا، وكان حجم التبادل التجاري بين البلدين اقل من الحجم الذي كانت إيران تطمح اليه، وشجع قادة الدولتين على توسيع التعاون الثنائي وتنفيذ الاتفاقيات السابقة من اجل زيادة التبادل التجاري[١٧].

وفي سياق توثيق العلاقات بين الدولتين قام عبد الوهاب عبد الله وزير الخارجية التونسي بزيارة إيران في شباط / فبراير عام ٢٠٠٦ التقى فيها بالرئيس احمدي نجاد وبحث الجانبان سبل تعزيز وتطوير العلاقات بين البلدين وقال نجاد في معرض حديثه عن واقع الدول الإسلامية وأهمية التعاون بين البلدان الإسلامية ": ان الدول الإسلامية يمكنها حل عدد كبير من المشاكل التي تواجهها حاليا بما في ذلك ازمة فلسطين من خلال المزيد من التعاون والتقارب من خلال الاستفادة من الامكانات العظيمة للعالم الإسلامي، ويمكننا الدفاع عن معتقدات الإسلام ودفع القضايا إلى الامام". وتطرق نجاد إلى العلاقات التاريخية والثقافية العميقة بين إيران وتونس، وقال ان الجمهورية التونسية كدولة مسلمة تتمتع بمكانة مهمة في السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية بسبب موقعها الجغرافي الاستراتيجي في شمال افريقيا واعرب عن امتنانه لموقف تونس المناسب في الدفاع عن حق إيران في الحصول على التكنولوجيا النووية للاغراض السلمية ضد عدد من المواقف الدولية ، قائلا انها علامة على العلاقات الاخوية بين البلدين الإسلاميين.

وأشار وزير الخارجية التونسي إلى العلاقات التاريخية والثقافية والدينية بين البلدين، وشدد على ضرورة تعزيز العلاقات الثنائية والسير بها وفق تاريخها وما كانت عليه، وقال ان تونس وإيران لديهما وجهات نظر مشتركة حول عدد كبير من القضايا الاقليمية والدولية وسلط الضوء على المشاورات بين الدولتين في اطار منظمة المؤتمر الإسلامي، وخلال مدة إقامة الوزير التونسي، عقدت اللجنة المشتركة اجتماعها الدوري، حيث تم التوقيع على ثمانية اتفاقية تعاون، تباينت بين الاستثمارات الصناعية إلى التعاون في المجالات العلمية والتكنولوجية والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والثقافة وشؤون المراة والشباب، وخلال اختتام اللجنة المشتركة أعمالها، قال منوشهر متقي وزير الخارجية الإيراني ان إيران وتونس تتمتعان بقدرات اقتصادية وثقافية وسياسية كبيرة ينبغي الاستفادة منها(١٨).

ومن منطلق الحفاظ على علاقاتها مع تونس وعدم اثارة الاخيرة ، رفضت إيران مطلع عام ٢٠٠٧ استقبال وفد الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بسبب وجود الغنوشي ضمنه، وجاء الاجراء الإيراني هذا بعد ان كشفت الحكومة الإيرانية طلب الحكومة التونسية منها واشتراطها عليها عدم استقبال الغنوشي للحفاظ على استمرار واستقرار العلاقات مع تونس(١٩).

مثل التعاون الاقتصادي إبان مدة حكم الرئيس محمود احمدي نجاد عاملا رئيسيا واساسيا في توثيق وتطوير علاقات البلدين، ففي ١٦/كانون الثاني ٢٠٠٧ وقع الجانبان على اتفاقية تعاون تضمنت توسيع وتنويع النشاط التجاري، وتخفيض الرسوم الجمركية على البضائع ، وفي السياق ذاته زادت صادرات تونس إلى إيران نتيجة العقوبات الدولية إلى إيران (٢٠).

وقام عفيف شلبي وزير الصناعة والطاقة التونسي بزيارة إيران في شهر شباط عام/فبراير ٢٠٠٨، التقى شلبي إبان زيارته ببرويز داودي النائب الأول للرئيس الإيراني، واكد الاخير أهمية التعاون بين البلدين والحاجة إلى توسيع هذا التعاون اعتمادا على اساس المنفعة المتبادلة، كون تونس تمثل لإيران بوابة لمنطقة شمال

افريقيا[٢١]، وبحث الجانبان سبل دعم وتطوير العلاقات الثنائية واعرب شلبي عن دعم بلاده لجهود إيران في امتلاك الطاقة النووية السلمية، وهنا الحكومة الإيرانية لنجاحها في ادارة الملف النووي [٢٢].

وبمناسبة ذكرى الثورة الإيرانية ارسل بن علي في شباط ٢٠٠٩ رسالة إلى احمدي نجاد هناه فيها ، واعرب خلالها عن استعداده للمضي قدما من اجل تعزيز التعاون بين البلدين[٢٣].

وعقدت اللجنة المشتركة للتعاون بين البلدين اخر اجتماعاتها في شهر اذار/مارس ٢٠٠٩، بحثت فيه اوجه التعاون وسبل تفعيل الاتفاقيات التي من شانها توثيق العلاقات. وخلال الاجتماع الذي جمع كل من حاتم الصائم السفير التونسي في طهران ومهدي غضنفري وزير التجارة الإيراني في شهر نيسان/ابريل ٢٠١٠ بحث الجانبان العلاقات الثنائية بين الدولتين، واتفقا على عقد قمة اقتصادية لتعزيز العلاقات في هذا المجال كان مقرر عقدها في شهر حزيران من العام ذاته[٢٤].

وفيما يتعلق بالملف النووي الإيراني، اكد السفير التونسي لدى إيران، موقف تونس الثابت من هذا الملف، واوضح بان تونس لن تغير موقفها الداعم لحق إيران في السعي وراء التكنولوجيا النووية، وفي ذروة الضغط الدولي على إيران اعلن الرئيس التونسي زين العابدين بن علي تاييده لحق إيران في امتلاك الطاقة النووية للاغراض المدنية، وقال: "إيران لها الحق في امتلاك التكنولوجيا النووية السلمية" [٢٥].

وامتد التعاون بين الدولتين إلى الجانب الثقافي، حيث اقيم معرضا مشتركا لأعمال الخط العربي الإسلامي في مدينة القيروان في شهر كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٩ [٢٦] .

رابعا: موقف إيران من الثورة التونسية وتغيير نظام زين العابدين بن علي عام ٢٠١١

سعت إيران إلى الحفاظ على مكتسباتها التي حققتها إبان عهد زين العابدين بن علي، وحاولت بناء جسور العلاقات مع النظام السياسي الجديد في تونس بعد قيام الثورة التونسية عام ٢٠١١ من خلال مواقفها المؤيدة للثورة وتوجهها ازاء توثيق علاقاتها مع النظام الجديد.

ومنذ انطلاق الثورة التونسية اعرب المسؤولون الإيرانيون عن دعمهم وتاييدهم للثورة معربين عن املهم في نجاحها ، وشددت إيران على أهمية احترام ارادة الشعب التونسي، وحذرت من التدخلات الأمريكية الاسرائيلية في تونس، وفي اول تعليق للخارجية الإيرانية عقب رحيل بن علي ، قال رامين مهما نبراست المتحدث الرسمي باسم الخارجية الإيرانية :" ما يهمنا جميعا هو تحقيق ارادة الشعب التونسي في افضل الظروف ، لان تونس يمكن ان تلعب دورا هاما في العالم الإسلامي". فيما وصف علي اكبر صالحي وزير الخارجية الإيراني الثورة التونسية والتحولات في المنطقة العربية، بقرب نهاية عهد الهيمنة الأمريكية في المنطقة ،وان نهاية الأنظمة العربية التي لا تحظى برضى شعوبها ستنتهي أيضاً[٢٧] .

من جانبه دعا محمود احمدي نجاد الرئيس الإيراني امريكا واسرائيل والدول الغربية بعدم التدخل بشؤون تونس الداخلية، وترك الشعب التونسي يقرر مصيره، واكد احمدي نجاد " ان الشعب التونسي يسعى إلى اقرار احكام الإسلام وانه لن يستسلم للغرب مرة اخرى، وخاطب نجاد الشعب التونسي ، مطالبا اياه بالاعتماد على الله والايمان، وعدم نسيان الاحكام الالهية والتضحية بالمبادئ الإسلامية لانها مرساة النصر[٢٨]. وكان لمجلس الشورى الإيراني (البرلمان) موقفا أيضاً من الثورة التونسية، حيث اعرب الكثير من اعضاءه عن دعمهم للثورة عن طريق اصدار بيان تضمن التذكير بتاريخ نضال الشعب التونسي ضد قوى الاحتلال.

وإبان خطبة الجمعة في ٤ شباط /فبراير ٢٠١١ ، قال علي خامنئي مرشد الثورة الإيرانية :"ان القوة الدافعة الرئيسية وراء الثورة التونسية كانت شعور مكثف من الاذلال للشعب وليس لأسباب اقتصادية، البعض حاول الادعاء على الرغم من اهميتها، ان الحدث التونسي كان مجرد تجسيد لتنبؤات الامام الخميني منذ سنوات عديدة، وان القوة الدافعة الرئيسية وراء هذه الثورة هي الإسلام، والدليل على ذلك فور فرار الخائن من البلاد بدات الطالبات يرتدين الحجاب في الكلية ، وهذا ما لم تنشره وسائل الاعلام الغربية، والدافع الاخر كان ارتباطات البلاد بامريكا، والأمريكيون لا يريدون ذكر هذه القضية"[٢٩].

وبالرغم من تصريحات المسؤولين الإيرانيين المؤيدة للثورة التونسية وضرورة احترام خيرات الشعب، فانهم حاولوا الابتعاد قدر المستطاع عن الحديث الذي التي من شانه ان ينعكس على الشارع الإيراني الذي شهد مظاهرات واسعة طالبت بالاصلاح وقادها التيار الاصلاحي عام ٢٠٠٩،او قد تسهم في اثارة التوتر بين بلادهم والعديد من الدول العربية بالابتعاد نوعا عن التصريحات التي تشير إلى ان الأحداث في تونس قد تنعكس أيضاً الأنظمة العربية واستقرارها في المنطقة، لكن وسائل الاعلام في إيران لاسيما الاصلاحية منها علقت الامال الإيرانية في تغييرات مماثلة في الدول العربية، بخلاف تصريحات المسؤولين الإيرانيين ووسائل [٣٠].

وتعتقد النخبة السياسية الإيرانية الحاكمة ان الثورة التونسية جسدت الرفض الشعبي لنظام بن علي والذي وصفته "بالاستبدادي والموالي للولايات المتحدة واسرائيل ،وعدّو الثورة امتدادًا للثورة الإسلامية الإيرانية ومحاكاة لمبادئها واساليبها"، في الوقت الذي يرى فيه الاصلاحيون في إيران" بان النظام السياسي الإيراني الحاكم جزء لا يتجزا من النمط الاستبدادي في المنطقة، وعليه يرى قادة التيار الاصلاحي ان حركتهم جزءً من الحركة الديمقراطية العربية وكانت مقدمة لها، وان حركة الاحتجاج التي قادوها في حزيران/يونيو ٢٠٠٩ كانت مصدر الهام للثوار العرب الذين تمردوا ضد الاستبداد [٣١].

وكان للصحافة الإيرانية الرسمية او القريبة من النظام موقفها من الثورة التونسية، فقد أشارت افتتاحيات هذه الصحف إلى سياسات تونس المؤيدة للغرب باعتبارها السبب الرئيس الذي وقف خلف سقوط نظام زين العابدين بن علي ، مرجحة ان الأنظمة العربية الاخرى الموالية للغرب ستقابل المصير ذاته بسبب سياستها التي جاءت على حساب شعوبها. واكدت صحيفة "الجمهورية الإسلامية" اليومية المحافظة ان الأحداث في تونس تعكس الازمة السياسية في العديد من الدول العربية ، ونشرت في افتتاحية عددها يوم ١٦ كانون الثاني /يناير

٢٠١١ ، ان العديد من الدول العربية يحكمها قادة استبداديون وقمعيون منذ عقود عديدة ، وبالتاكيد ستؤثر التطورات في تونس على هذه الحكومات، وأشار مقال اخر إلى ان الانتفاضة في تونس كانت مقلقة أيضاً للدول الغربية ، وخاصة الولايات المتحدة واسرائيل، حيث ينبع هذا القلق وفقًا للصحيفة الإيرانية، من الخوف من ان يتحول نظامها الجديد بعيدًا عن السياسات الموالية للغرب التي كان يتبناها بن علي، والذي وصفته الصحيفة بالحليف لاسرائيل في منطقة[٣٢]. المثير للتساؤل والاستغراب هنا ان طهران تصف نظام بن علي بالاستبدادي الموالي للغرب والحليف لاسرائيل، في الوقت الذي كانت تسعى فيه إلى توثيق علاقاتها معه، بل وجمدت علاقاتها مع الحركة الإسلامية التونسية حرصا منها على علاقاتها مع نظام بن علي.

بينما نشرت صحيفة كيهان أيضاً ان من المتوقع ان تنتشر الانتفاضة الشعبية في تونس إلى دول عربية اخرى تهيمن عليها أنظمة مستبدة وفاسدة لا تحظى بدعم شعبي، وان تجربة العقود القليلة الماضية تثبت ان "الديمقراطية الدينية في إيران هي النموذج الحاكم الاكثر جدارة بالمحاكاة في المنطقة. ان النظام الإيراني الذي يجمع بين الإسلام والجمهوريّة هو النموذج الوحيد الذي اثبت قدرته على مقاومة الاستبداد والامبريالية وضمان امن المنطقة" [٣٣]. وانها عكست موجة من اليقظة بين الشعوب في جميع انحاء المنطقة وستؤدي قريبا إلى انتفاضات اضافية ضد الديكتاتوريات الفاسدة في الشرق الاوسط ، واوضحت الصحيفة ان هذه الأنظمة، التي سعت إلى "القضاء على الإسلام" في المجتمع وفي الادارة على حد سواء ، كانت تفتقر إلى الدعم الشعبي وبالتالي كانت ضعيفة للغاية، ونصحتهم بمحاكاة نظام الثورة الإسلامية لدرء الامبريالية والاستبداد[٣٤].

اما صحيفة ابتكار اليومية المحافظة فقد نشرت مقال بعنوان "الشرارة التونسية التي ستسقط الديكتاتوريات العربية"، ان الانتفاضة الشعبية في تونس ستثير تطورات مماثلة وان انقلابا مماثلا يمكن ان يحدث في سوريا ، بسبب نظامها الاستبدادي وأشارت إلى ان : الملوك والرؤساء العرب، جميعهم يحكمون بطريقة مماثلة وبدعم الرؤساء واقاربهم من اجل الفوز بالانتخابات التي تجرى بدون مشاركة الشعب، وحذرت الصحيفة من ان شعوب هذه الدول ستتمرد قريبًا على حكامها.

واستخدمت بعض الصحف الإيرانية الأحداث التونسية كفرصة للتعبير عن الانتقاد الضمني ضده، منها صحيفة الجمهورية الإسلامية القريبة من الموسسة الدينية في قم، حيث ذكرت ان القادة في المنطقة، بعضهم بقت دولهم تحت حكم ديكتاتوري بدون انتخابات حرة لعقود وكانت قلقة من الأحداث التونسية ، لان الوضع في بلادهم يشبه الوضع الذي كان سائدا في تونس قبل الانتفاضة. وأشارت الصحيفة إلى انه بالرغم من فوز بن علي بنسبة ٩٠٪ من الاصوات في الانتخابات الرئاسية ، الا ان الأحداث الاخيرة اظهرت ان هذه النتيجة كانت مزورة، واضافت الصحيفة ان الانتفاضة التونسية لم تثرها الضائقة الاقتصادية فحسب، بل بسبب مطالبة الناس بالحرية ورفض الديكتاتورية. وخلصت صحيفة الجمهوري الإسلامية إلى ان الانتفاضة قد تؤدي إلى "أحداث غير متوقعة" في الدول العربية ، مضيفا ان اسرائيل والغرب قلقان بشان من سيخلف بن علي ، الذي كان حليفهم وخاصة اسرائيل. واكد موقع كلمة ، المرتبط بزعيم الحركة الاحتجاجية مير حسين موسوي ، ان بن علي كان

من اوائل القادة الذين هنأوا احمدي نجاد بعد الانتخابات الرئاسية العام الماضي ، وانه فشل في الاستجابة لاحتجاج الناس حتى فوات الاوان[٣٥].

وتناولت صحيفة مردوم سلاري الاصلاحية اليومية ، تاثير التطورات في تونس على الدول العربية الاخرى. واكد مقال نشر في ١٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠١١ ان الموجة الثورية التي بدات في تونس ستستمر، لان الرغبة في الديمقراطية تتسع في جميع دول المنطقة، وشددت كذلك على ان هذه عملية طبيعية لان الدول العربية يحكمها اكثر من عقدين قادة يتجاهلون حقوق المعارضة الداخلية، لذلك من المتوقع ان يكون مصيرهم مشابهًا لمصير بن علي، وسرعان ما سينتهي حكمهم عاجلا ام اجلا، وأشارت الصحيفة إلى ان الديمقراطية هي السبيل الوحيد لتحقيق التقدم والتنمية في المنطقة، معربة عن الامل في ان تشجع الأحداث في تونس القادة العرب الاخرين على ارساء الديمقراطية وايلاء اهتمام اكبر لارادة شعوبهم[٣٦].

خامسا: علاقات البلدين بعد الثورة

اتسمت السياسة الإيرانية ازاء تونس إبان وبعد الثورة بنوع من التناقض، حيث سعت طهران من اجل التواصل مع القوى السياسية والنخب الثقافية شكليا دون دعم فعلي للدولة التونسية من الناحية الاقتصادية خاصة، وتبنت سياسة تقوم على دعم جهات معينة ممن تعدهم قريبون لمواقفها او توجهاتها السياسية، على حساب علاقاتها مع الحكومة التونسية، الأمر الذي انعكس على سياسات الحكومات التونسية المتعاقبة التي تعاملت بحذر كبير مع السياسات الإيرانية ولتصل إلى نوع من التوجس والقلق وعدم الثقة، وهذا انعكس بدوره على العلاقات بين البلدين[٣٧]. لذلك انتهجت الحكومات التي تعاقبت على حكم تونس خلال السنوات التي اعقبت الثورة سياسات حذرة جدا تجاه إيران ، لاعتبارات عديدة منها ما يتعلق بتونس وطبيعة الاوضاع فيها عقب أحداث الثورة والقلق من التدخل الخارجي، والاخر ما يتعلق بعلاقاتها العربية وخاصة العلاقات مع السعودية وهو ما ينطبق عموما على العلاقات التونسية الخليجية، اذ ان انشطة إيران المريبة بالنسبة لتونس كانت تقف حائلا دون تعزيز العلاقات التونسية– الإيرانية خاصة والعربية – الإيرانية عامة، فالأمر لا يتعلق بتونس لوحدها بل بالامن القومي العربي، لذلك وقفت في مواجهة اية تهديدات لامن المنطقة ايا كان مصدرها.

وبالرغم من الموقف المؤيد والمعلن من قبل إيران للثورة التونسية والتحول السياسي الذي شهدته تونس بعدها لكن واقع الحال يشير إلى ان العلاقة بين الطرفين لم تكن بالمستوى الذي كانت تامله طهران، ولعل ذلك يعود أيضاً إلى موقف تونس الرسمي المؤيد للثورة السورية الأمر الذي اثار حفيظة طهران والذي انعكس بدوره على علاقات البلدين، ليس هذا فحسب بل ان تونس تبنت الموقف ذاته تجاه الأحداث في اليمن واعربت عن دعمها للسعودية في العديد من القضايا ومنها القضية اليمنية، حيث تطابقت فيه وجهت نظر العديد من الاحزاب مع الحكومة التونسية [٣٨].

مع ذلك شهدت السنوات التي اعقبت أحداث الثورة التونسية عام ٢٠١١ اهتماما إيرانيا متزايدا بتونس، حيث شدد المسؤولون الإيرانيون على أهمية تطوير وتعزيز العلاقات مع تونس، وعكست تصريحاتهم الرسمية

ذلك، في الوقت ذاته ادرك قادة تونس أهمية العلاقات مع إيران في دعم الاقتصاد التونسي، وهنئت الحكومة الإيرانية تونس عقب الانتخابات التي اجريت عام ٢٠١٤، لكن مسار العلاقات تغير عقب تولي الباجي قائد السبسي قيادة البلاد(٢٠١٤-٢٠١٩) ، حيث ساد العلاقات التونسية – الإيرانية الركود، ولعل ذلك يعود إلى ان السبسي كان يعتمد البراغماتية في سياسته الخارجية ، فضلا عن انه كان من القادة البارزين والمحسوبين على النظام القديم عهد الرئيس الحبيب بورقيبة، الذي اتسم بمواقفه المعارضة والمتشددة تجاه الحركات الإسلامية، وفضل السبسي علاقات تونس مع دول الخليج العربية ولا سيما السعودية نظرا لاهميتها، لكن بالرغم من ذلك ابقى على علاقات بلاده الودية مع إيران[٣٩] .

وتعامل الباجي قائد السبسي الرئيس التونسي الذي منحه الدستور صلاحيات رسم السياسات الخارجية بحذر مع السياسة الإيرانية، وعلى ما ويبدو انه كان حريصا على تبني سياسة خارجية تكون امتدادا لسياسة الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة والذي عمل معه لسنوات طوال، لا سيما وان تونس تعي جيدا ما تمثله إيران من خطر على بلاده وعلى دول المنطقة كلها ومنها دول الخليج العربية ،لذلك تمسك بثوابت السياسة الخارجية التي ترفض محاولات إيران التدخل والمساس بامن تونس والدول العربية [٤٠].

الخاتمة

العلاقات الإيرانية – التونسية لا تختلف كثيرا عن واقع العلاقات العربية – الإيرانية عامة فهي جزء منها وتتاثر بتاثرها، لذلك فهي مرت بمراحل من الاستقرار والتوتر والانقطاع.

مرت العلاقات بين الدولتين منذ نشاتها عام ١٩٥٦ بمحطات عديدة ، حيث شهدت تحسنا وتطورا ملحوظا إبان عهد الرئيس الحبيب بورقيبة في الوقت الذي كاف فيه الشاه محمد رضا بهلوي يحكم إيران، والتقت توجهات كلا النظامين السياسية والفكرية لتوجه العلاقات بينهما نحو زيادة وتوسيع التعاون ليشمل الجوانب السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية بالرغم من محدوديته، لكن ذلك لم يمنع من استمرار وتطور علاقاتهما حتى قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩.

بعد الثورة الإيرانية بدأت العلاقات تشهد تراجعا واضحا، عقب التحسن الذي شهدته في عهد الشاه ،فلم يكن من السهل على بورقيبة التفريط بعلاقاته وصداقاته مع نظام الشاه ،حيث اسهمت الخلافات السياسية والفكرية بين البلدين بشكل كبير في تراجعها، فقد كانت توجهات وافكار الحبيب بورقيبة العلمانية تختلف جذريا عن توجهات النظام السياسي الإيراني الإسلامي بعد الثورة ، وكان لمواقف بورقيبة المعارضة للحركة الإسلامية عامة وفي تونس خاصة الاثر في تبنيه لموقف لمعارض للثورة الإيرانية فلم يكن من المرحبين بها بل وتبنى موقفا معارضا لها، وكان للعلاقات التي نشات بين الحركة الإسلامية في تونس والحكومة الإسلامية في إيران دورا حاسما ورئيسا في توتر العلاقات بين البلدين، بعد ان اتهمت تونس إيران بدعم الحركة الإسلامية فيها وتحديدا حركة النهضة بزعامة راشد الغنوشي ومحاولة تغيير نظام الحكم، اضافة إلى تبني تونس موقف الداعم والمؤيد للعراق في الحرب ضد إيران، إلى جانب أسباب اخرى اسهمت في مجملها في ايصال العلاقات بين الطرفين إلى طريق مسدود، حيث قطعت تونس في عهد الحبيب بورقيبة علاقاتها مع إيران عام ١٩٨٧.

بعد الانقلاب الذي شهدته تونس عام ١٩٨٩ وتولي زين العابدين بن علي الرئاسة، سعى الاخير باتجاه استئناف العلاقات مع إيران، واسهمت الظروف التي شهدها البلدان في تشجيعهما على استعادة العلاقات. فتونس في عهد بن علي توجهت نحو بناء علاقات متوازن خالية من الازمات وبعيدة عن المحاور والصراعات، في محاولة لبناء اقتصاد وسياسة خارجية مستقرة تناى بنفسها عن كل ما من شانه ان يؤثر على مسيرة البناء والتنمية والنمو الاقتصادي الذي كان ينشده بن علي. والحال كذلك بالنسبة إلى إيران الذي تولى في نفس العام أيضاً(١٩٨٩) علي اكبر هاشمي رافسنجاني الرئاسة الإيرانية، والذي تبنى سياسة خارجية تختلف كليا عما كانت عليه بعد الثورة، سياسة قائمة على الانفتاح وتحسين صورة إيران، ومحاولة بناء علاقات جديدة متوازنة عربيا واقليميا ودوليا، فضلا عن محاولة اعادة بناء الاقتصاد الذي انهكته الحرب مع العراق، من هذا المنطلق وجد الجانبان ان من مصلحتهما استانف العلاقات بينهما وتم ذلك عام ١٩٩٠، لتشهد بعد ذلك تطورا وتحسنا تدريجيا انعكس على مختلف المجالات واثبت تماسك تلك العلاقات طوال حكم الرئيس بن علي حتى تغيير نظامه عام ٢٠١١.

بعد قيام الثورة التونسية عام ٢٠١١، عكست التصريحات الرسمية الإيرانية والصحف المقربة لها ترحيبها بالثورة وسقوط نظام بن علي الذي وصفته بالدكتاتور والمستبد والموالي للغرب، وضرورة احترام حقوق وخيارات الشعب التونسي ، في موقف اثار الاستغراب والتساؤل حول سرعة تغير الموقف الإيراني من نظام بن علي الذي كانت له علاقات جيدة مع إيران، ومهاجمته من المسؤولين الإيرانيين انفسهم.

بالرغم من الموقف المؤيد الذي ابدته طهران للثورة التونسية وما ترتب عليها من تغيير نظام بن علي، لكن واقع الأمر يشير إلى ان هذا التاييد كان مقتصرا على التصريحات والاعلام الرسمي دون ان يكون هناك موقف حقيقي فاعل لدعم الثورة ونظامها الجديد، بل ان طهران اعتمدت سياسة دعم اطراف على حساب اخرى وبما تنسجم مع مصالحها ورؤاها وتوجهاتها، دون ان تنظر لمصالح تونس بشكل عام، هذا الأمر دفع الحكومة التونسية ما بعد الثورة إلى الحذر والتوجس في تعاملها مع إيران، وكان لتباين المواقف بين البلدين فيما يخص القضايا العربية الاخرى في اليمن وسوريا والعلاقات مع دول الخليج العربية ودعم تونس لها ومعارضة التدخل الإيراني، عوامل اضافية اخرى اسهمت في زيادة عدم الثقة التونسية بعلاقاتها مع طهران التي لم تكن لتقبل بالموقف التونسي هذا، وكان لتولي الباجي قائد السبسي رئاسة تونس الاثر الواضح على العلاقات مع إيران، خاصة وانه كان احد افراد النظام القديم في عهد الرئيس الحبيب بورقيبة، ومن المتاثرين بافكاره وتوجهاته الأمر الذي انعكس أيضاً على سياسته ازاء إيران وعلاقاته معها، من هذا المنطلق خيم عامل القلق والتوجس والشك العلاقات بين البلدين بعد الثورة .

الهوامش والمصادر

[١] مطالعات افريقا ، شمال افريقا ، تونس روابط با ايران، تاريخ الوصول ٢٠٢٠/٤/١١:

http://www.afran.ir/modules/publisher/item.php?itemid=323

[٢] المصدر نفسه.

[٣] ياسين بوشوار وجمال الصيفي،(تحولات الموقف التونسي من التشيع ١٩٨١-٢٠١٦) في مجموعة مؤلفين ،ايران ودول المغرب العربي، ط١(مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي،٢٠١٨)،ص ١٤٢،ص ١٧٣ ،ص١٧١.

[٤]محمد محسن ابو النور،(العلاقات المصرية – الايرانية بين الاقبال والمراوغة ٢٠١١-٢٠١٣) في مجموعة مؤلفين، الاخوان وايران خارج المذهب داخل السياسة ،ط١(مركز المسبار للدراسات والبحوث،دبي،٢٠١٥)، ص ١٢٠.

[٥]كمال الهلباوي،(العلاقات الايرانية – الاخوانية)، في مجموعة مؤلفين ، الاخوان وايران ، ص ٣٧٩.

[٦]يوسف الديني،(الاخوان وايران: خارج اقواس المذهب داخل اتون السياسة)، في مجموعة مؤلفين ،الاخوان وايران ، ص٤١٣.

[٧] عباس خامه يار ، ايران والاخوان المسلمون: دراسة في عوامل الالتقاء والافتراق، ترجمة عبدالامير الساعدي،ط١(مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت،١٩٩٧)، ص ص ٢٣٧-٢٣٨.

[٨] المصدر نفسه، ص ص ٢٤٠- ٢٤١.

[٩]مطالعات افريقا، المصدر السابق.

[١٠]احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية الايرانية ١٩٧٩-٢٠١١،ط١(دار الجنان للنشر ،عمان،٢٠١٢)، ص ٥٧٦.

[١١]الحسين الزاوي، المغرب العربي وايران: تحديات التاريخ وتقلبات الجغرافية السياسية،(المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة،٢٠١١)،ص ١٧.

[١٢]مطالعات افريقا، المصدر السابق.

[١٣]الترابي، المصدر السابق، ص ١٤٢

[١٤]مطالعات افريقا، المصدر السابق.

[١٥] الترابي، المصدر السابق، ص ١٤٢،ص ١٧١.

[16] Irina Tsukerman ,Iran’s Infiltration of Tunisia Threatens Morocco’s Stability, Jul 19, 2018, date of arrival,11/4/2020.

https://www.moroccoworldnews.com/2018/07/250880/iran-infiltration-tunisia-threatens-morocco-stability.

[17] Ariel Farrar-Wellman, Tunisia-Iran Foreign Relations, May 09, 2010, date of arrival, 11/4/2020. https://www.criticalthreats.org/analysis/tunisia-iran-foreign-relations.

[18] Tunisian FM Visiting Iran, Feb 20 2006, https://www.orfonline.org/research/tunisian-fm-visiting-iran, date of arrival,11/4/2020.

[١٩] الترابي، المصدر السابق، ص ١٨٥؛ الطاهر عمارة الادغم،(العلاقات المغاربية – الايرانية)، في مجموعة مؤلفين، العرب وايران مراجعة في التاريخ والسياسة،ط١(المركز العربي للابحاث ودراسات السياسات، بيروت،٢٠١٢)، ص ٢٥٤.

[20]Hafssa Fakher El Abiari , insde the Complexity of Iran-Tunisia Relations: Khomeinism, Bourguibism, Realpolitik, Report November 2019, date of arrival 11/4/2020. P 39.

https://iramcenter.org//d_hbanaliz/Inside_The_Complexity_Of Iran- Tunisia Relations.pdf

[21] Ibid.p39.

[22] Wellman, Op.Cit.

[23] El Abiari, Op.Cit.

[24] Wellman, Op.Cit.

[25] El Abiari , Op.Cit ,p41.

[26]Wellman, Op.Cit.

[٢٧] رشيد يالوح، ايران والثورتان التونسية والمصرية،٢٠١١/٥/٩، تاريخ الوصول ٢٠٢٠/٤/١٢:

https://www.dohainstitute.org/ar/PoliticalStudies/Pages/Iran_and_the_Tunisian_and_Egyptian_Revolutions.aspx

[٢٨] عمر البشير الترابي، ايران والاحتجاجات العربية : التأثير والتأثر، في مجموعة مؤلفين،ايران بين ثورتين، ط١(مركز المسبار للدراسات والبحوث،،دبي،٢٠١٣)، ص ٤٧٥؛ يالوح، المصدر السابق.

[٢٩] يالوح، المصدر السابق.

[30] Raz Zimmt, Between Zayn AL- Abidin Bin – Ali and All Khamenei : The Iranian public debate following The popular Revolt in Tunisian, Number 43 . 24 January 2011, date of arrival, 11/4/2020. https://en-humanities.tau.ac.il/iranian/publications/irans_pulse/2011-4

[٣١] يالوح، المصدر السابق.

[32] Zimmt,Op.Cit.

[33] Ibid

[34] Arab and Iranian Reactions to the Tunisia Uprising January 19, 2011, date of arrival, 11/4/2020, https://www.memri.org/reports/arab-and-iranian-reactions-tunisia-uprising

[35] Arab and Iranian reactions to the Tunisia uprising, Op.Cit.

[36] Zimmt, Op.Cit.

[٣٧]سمير محمد حمدي، العلاقات التونسية الايرانية المرتبكة، الجمعة ٨ جمادى الاول ١٤٤١، تاريخ الوصول ٢٠٢٠/٤/١١

https://web.archive.org/web/20200103090039/http://www.albayan.co.uk/Mobile/Article2aspx?id=6344.

[٣٨] المصدر نفسه.

[٣٩]حفصة فاخر الابياري، وفاة الرئيس السبسي لن تؤدي الى تغيير كبير في العلاقات الايرانية التونسية،٢٠١٩/٧/٢٩، تاريخ الوصول ٢٠٢٠/٤/١١

https://iramcenter.org/en/president-essebsis-death-will-not-bring-much-change-in-iran-tunisia-relations.

[٤٠]ايران تغازل تونس وسط نذر عزلة دولية، الجمعة ٢٠١٨/٧/٦،تاريخ الوصول ٢٠٢٠/٤/١١

https://middle-east-online.com.

References:

Muhammad Mohsen Abu al-Nur, (Egyptian-Iranian relations between Iqbal and elusiveness 2011-2013) in a group of authors, The Brotherhood and Iran outside the sect within politics, 1st Edition (Al-Mesbar Center for Studies and Research, Dubai, 2015.

Hafssa Fakher El Abiari , insde the Complexity of Iran-Tunisia Relations: Khomeinism, Bourguibism, Realpolitik, Report November 2019.

Arab and Iranian Reactions to the Tunisia Uprising January 19, 2011.

Al-Taher Amara Al-Adgham, (Maghreb-Iranian Relations), in a group of authors, The Arabs and Iran Review in History and Politics, 1st Edition (Arab Center for Research and Policy Studies, Beirut, 2012).

Yassin Bouchouwar and Jamal Al Saifi, (Changes in the Tunisian position on Shiism 1981-2016) in a group of authors, Iran and the Maghreb Countries, 1st Edition (Al-Mesbar Center for Studies and Research, Dubai, 2018).

Wasf al-Dini, (The Brotherhood and Iran: Outside the Arcs of the Doctrine Inside the Politics), in a group of authors, The Brotherhood and Iran.

Kamal Al-Helbawi, (Iranian-Brotherhood Relations), in a group of authors, The Brotherhood and Iran.

Ahmad Nouri Al-Nuaimi, Iranian Foreign Policy 1979-2011, Edition 1 (Jinan Publishing House, Amman, 2012), p. 576.

Irina Tsukerman ,Iran's Infiltration of Tunisia Threatens Morocco's Stability, Jul 19, 2018.

mar Al-Bashir Al-Turabi, Iran and the Arab Protests: Influence and Influence, in a group of authors, Iran Between Two Revolutions, 1st Edition (Al-Mesbar Center for Studies and Research ,, Dubai, 2013).

Ariel Farrar-Wellman, Tunisia-Iran Foreign Relations, May 09, 2010.

Abbas Khameh Yar, Iran and the Muslim Brotherhood: A Study of the Factors of Convergence and Separation, translated by Abd al-Amir al-Saadi, Edition 1 (Center for Strategic Studies, Research and Documentation, Beirut, 1997).

Al-Hussein Al-Zawy, the Maghreb and Iran: Challenges of History and the Fluctuations of Geopolitics, (Arab Center for Research and Policy Studies, Doha, 2011).

Raz Zimmt, Between Zayn AL- Abidin Bin – Ali and All Khamenei : The Iranian public debate following The popular Revolt in Tunisian, Number 43 . 24 January 2011.